جامعة أبي بكر بلقايد
كلّية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار
المستوى: السنة الثانية ، السّداسي: الثاني
عنوان المقياس: تاريخ وآثار المغرب الإسلامي

السّنة الجامعية: 2025/2024
التّخصص: علم الآثار العام
أستاذ المقياس: بن حمو

الرّقم التّسلسلي للدّرس في المقرر الوزاري:

عنوان الدّرس:

الدولة الزيانية

أهداف الدّرس:

معرفة نشأة الدولة وتوسعها

عناصر الدّرس:

نشأة الدولة وتوسعها

نظامها

الجيش

حكامها

عمارتها

بالنسبة **للدولة الزيانية** فقد حاصر أبو يعقوب يوسف المريني تلمسان واختط قربها قصرا لسكناه واتخذ مسجدا وأدار عليها السور، وبنى الناس الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، ثم بنى على ذلك سورا سنه 702هـ/1302م وصيرها مصرا وكثر عمرانها واتسعت أسواقها، وأمر باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا جامعا وشيّد له مئذنة رفيعة وسماها المنصورة، ثم خرّبها آل يغمراسن بعد ذلك بعد مهلك أبي يعقوب فطمسوا معالمها ونسفوها نسفا سنة 707هـ/1307م، وفي فترة الحصار هاته التي دامت من 698هـ/1298م إلى سنة 706هـ/1306م خرّب سكان مدينة تلمسان سقوف بيوتهم للوقود، وخلت المدينة من سكانها، وفُقد نحو من مائة وعشرين ألف نسمة، هلك بعضهم جوعا وفر بعضهم خارج المدينة، وقد أكل التلمسانيون الميتة والجيف والحشرات والزواحف وغيرها، ويقال بأنه بقي بتلمسان في عهد أبي زيان مائتي نسمة وألف جندي.

واستطاع أبو زيان السلطان الزياني بعد فك الحصار أن يمهد المناطق المجاورة، ثم نظر في إصلاح قصوره ورياضه ورمم ما تلثم من تلمسان، وكذلك فعل خلفه أبو حمو موسى الذي تفرغ للبناء والتشييد، وفي سنة 718هـ/1318م شيد أبو تاشفين –الحاكم الجديد للدولة– القصور واتخذ الرياض والبساتين، فاستكمل بذلك ما شرع فيه والده أبو حمو موسى، وبنى أبو تاشفين الحصون بالقرب من بجاية كحصن بكر وحصن تامزيزدكت، واختط بتيكلات على مرحلة منها بلدا سماها تامزيزدكت على اسم المعقل الذي لأَوَّلِهم بالجبل قبالة وجدة، ولما توجه أبو الحسن المريني بعد ذلك نحو المغرب الأدنى ووصل تيكلات المدينة التي بناها الزيانيون خرّب عمرانها وانتهب أقواتها فأصبحت أثرا بعد عين.

كما أن أبا الحسن المريني أعاد بناء المنصورة وقرَّبها من تلمسان حتى تقاربت كثيرا ورماها–أي تلمسان– بالمنجنيق واستمر الحصار سنتين، ثم اقتحمها سنة 737هـ/1336م ودخل المرينيون البلدة فنهبوها وخربوا الكثير، وانطلقت الأيدي على المنازل نهبا واكتساحا، ولما دخل أبو الحسن بنى عدة منشآت بمدينة تلمسان كجامع القصبة والجامع الكبير وصومعته، وثرية جامع تلمسان، ومساجد عدة منها عند باب الحجاز وعند باب هنين وعند باب فاس، ومنها الجامع الذي أنشأ بمدينة هنين، والمساحة المزيدة في جامع الجزائر، وجامع ضريح أبي مدين، كما أنشأ مدرسة بالعباد.

وفي عهد أبي حمو موسى الثاني بنيت مدرسة بتلمسان، وفي حوالي سنة 785هـ/1383م إتجه أبو حمو إلى مدينة تازى وكانت تابعة للمرينيين فحاصرها سبعا وخرّب قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازورت، وفي عودته إلى تلمسان هدم قصر ونزمار المسمى مرادة في نواحي بطوية ، وفي سنة 786هـ/1384م اتجه أبو العباس المريني إلى تلمسان فدخلها وهدم أسوارها وخرّب الكثير من

القصور الرائعة التي بناها أبو حمو موسى الثاني وابنه أبي تاشفين الثاني جزاءً لما فعله أبوحمو من التخريب.

وفي سنة 797هـ/1394م حكم تلمسان أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني، ولما استقر له الأمر تفرّغ للبناء وترميم ما أفسدته الحرب، وأظهر لها رونقا وجمالا وازدهارا، وجعل من بلاطه مكانا مفضلا للعلماء ورجال الفن والأدب والحرب، وكما قال التنسي:"أقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في نظم مجالسها واتساقها وأوضح لأهل الأبصار والبصائر رسمها وأثبت في رسوم التخليد وسمها، فلاحت للعلم في أيامه شموس وارتاحت للإستغراق فيه نفوس بعد نفوس".

وبعد هذا استمر التدخل المريني في الشؤون الزيانية يولّون من يشاؤون ويعزلون من يشاؤون إلى حوالي سنة 804هـ/1403م أين حكم تلمسان أبو عبد الله محمد المعروف بابن خولة عرفت تلمسان خلال فترة حكمه استقرارا نسبيا شجع الحركة الفكرية والعلمية والفن، ثم تدخل الحفصيون في شأن تلمسان وعيّنوا عليها حكاما زيانيين تابعين لهم، إلى أن حكمها أبو العباس أحمد العاقل سنة 834هـ/1432م، والذي قام بعدة إصلاحات إدارية وبنى الدولة وأصلح الأوقاف وسخرها لفائدة المشاريع التربوية والدينية والاجتماعية، وطال حكم العاقل حوالي اثنين وثلاثين سنة ، ساد البلاد الرخاء الاقتصادي والتطور الفكري، وبنى المدرسة الجديدة بزاوية الشيخ الصالح الحسن بن مخلوف أبركان، كما بنى سور المشور، ثم احتدم الصراع بين آل الأسرة الزيانية وظهر الخطر المسيحي على السواحل وسقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس، كما ظهر الأتراك العثمانيون، وبقيت تلمسان في هذا الصراع إلى أن دخلت تحت راية الدولة العثمانية.

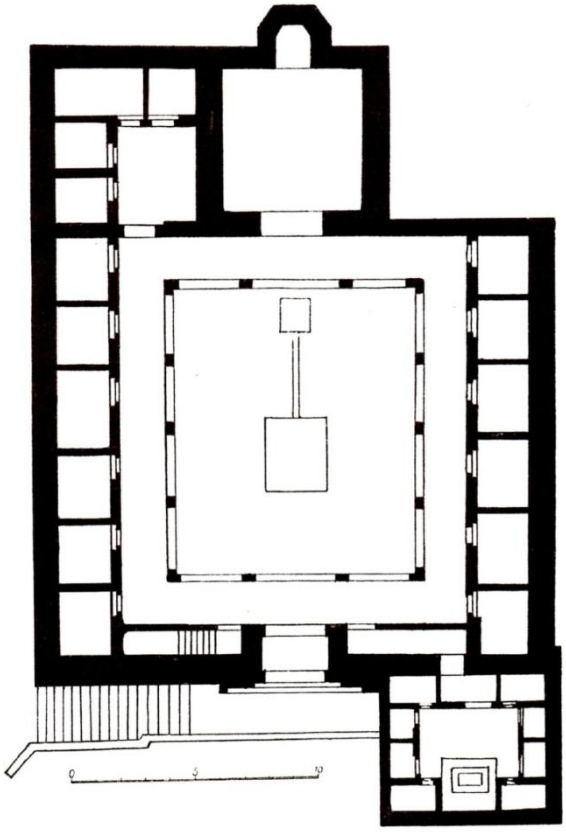

مخطط المدرسة الخلدونية بتلمسان، مع صور

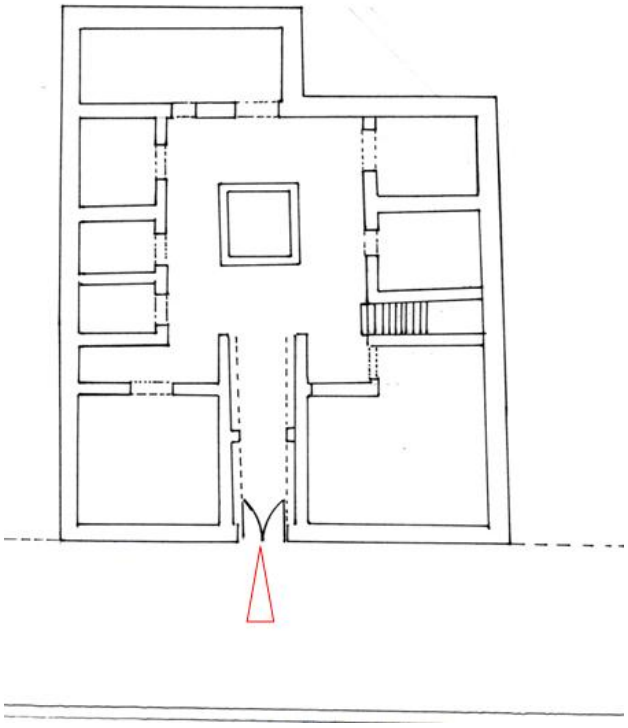

مخطط فندق الرمانة بتلمسان، عن عمر بلوط، بتصرف. مع الصور

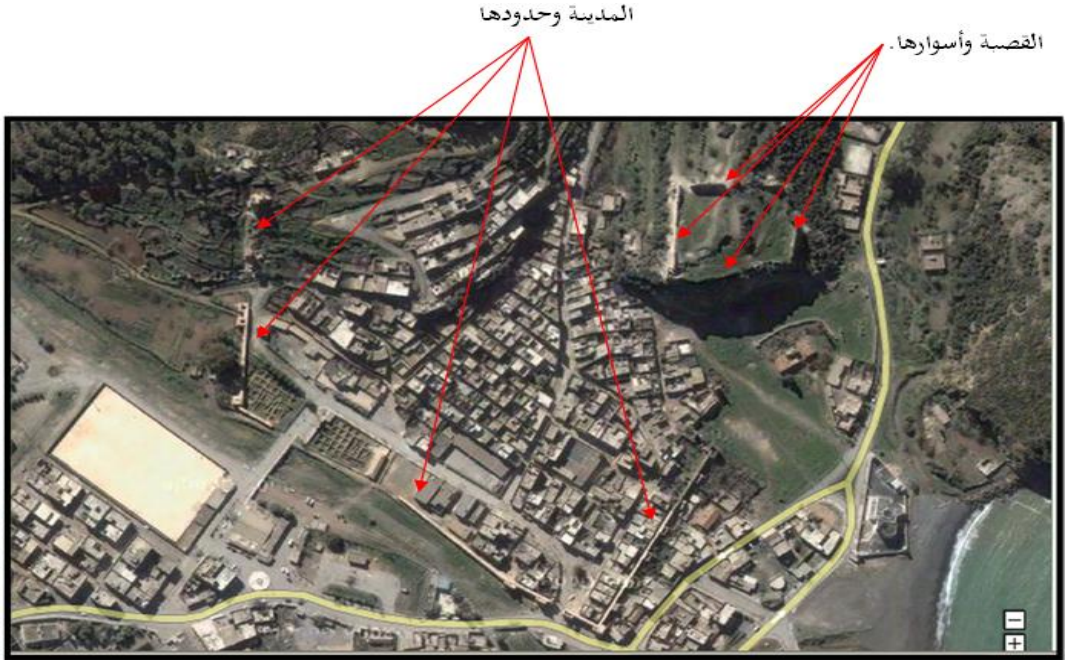

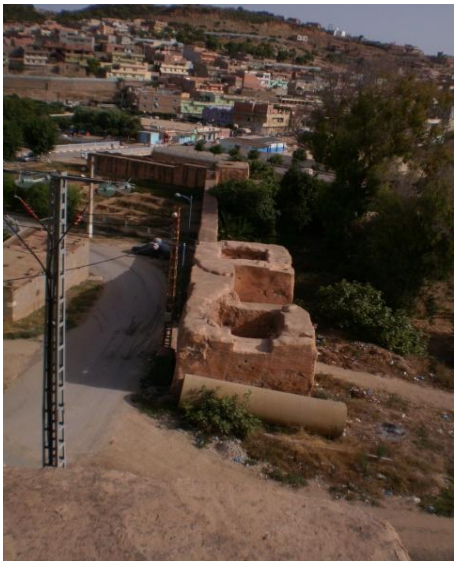

ملامح من التحصينات الدفاعية لمدينة هنين

بعض مراجع الدرس:

- ابن خلدون عبد الرحمن ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**.
- يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**.
- التنسي، **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**.
- حسن مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**.
- صالح فركوس، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى**.
- عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب الكبير**.
- محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**.
- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**.